مفهوم الجاهليــة

شعيب عز الدين حبيلة

ع | ورقة بحثية رقم (٥) | مسلسل رقم (١١) ٢٠١٨

مُبَادَرَاتُ طَابَة
TABAH INITIATIVES
www.tabahInitiatives.org

مفهوم الجاهلية

بحث مقدم للمشاركة في مسابقة سند

إعداد

شعيب عز الدين حبيلة

أستاذ بجامعة محمد الصديق بن يحيى – الجزائر

الترقيم الدولي : 978-9948-38-425-0

مفهوم الجاهلية www.tabahfoundation.org

جميع الحقوق محفوظة © ، يمنع إنتاج أو توزيع أي جزء من هذا الإصدار بأي وسيلة دون موافقة خطية صريحة من مؤسسة طابة ، إلا في حالات الاقتباس المختصر مع العزو الدقيق ، والكامل في المقالات النقدية ، أو المراجعات .

نبذة عن مؤسسة طابة :

هي مؤسسة غير ربحية تُعنى بتقديم أبحاث ومبادرات واستشارات وتطوير كفاءات، وتسهم في تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر للاستيعاب الإنساني، وتسعى إلى تقديم مقترحات وتوصيات لقادة الرأي لاتخاذ نهج حكيم نافع للمجتمع بالإضافة إلى إعداد مشاريع تطبيقية تخدم المثل العليا لدين الإسلام وتبرز صورته الحضارية المشرقة مستندين في ذلك على مرجعية أصيلة واستيعاب للتنوع الثقافي والحضاري والإنساني.

نبذة عن مبادرة سند :

مبادرة مجتمعية تُعنى بتبيين حقائق الأمور وإزالة الغشاوة عن الناس لمعرفة تصرفات المتطرفين الذين ينسبون أنفسهم إلى نصرة الإسلام وإبطال شبهاتهم، وتميز أفعال التطرف باسم الدين بأنها فعل الخوارج، بما يصحح المفاهيم، ويحفظ على الناس الدين، عن طريق توفير الأدلة الشرعية، ووسائل توضيح الحقيقة للدعاة والإعلاميين والنخب المثقفة المؤثرة على المجتمع ليقوموا بدورهم في حقن الدماء من خلال نشر الوعي الصحيح بين الناس.

نبذة عن الباحث :

الباحث شعيب عز الدين حبيلة من مواليد 1993 بولاية جيجل شرق الجزائر، حائز على الثانوية العامة في الآداب والفلسفة سنة 2012، وعلى شهادتي ليسانس وماستر في اللغة العربية والدراسات القرآنية من الجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر بقسنطينة سنتي 2015 و2017. انتسب سنة 2017 إلى كلية الآداب واللغات بجامعة محمد الصديق بن يحيى بولاية جيجل كباحث في الدكتوراه، وعضو في مخبر اللغة وتحليل الخطاب، وأستاذ بالكلية ذاتها.
شارك في عدد من الملتقيات الوطنية، وهو مشتغل بالمصطلح القرآني وبالخطاب الديني عامة والصوفي خاصة، أصدر سنة 2016 رواية «أحفاد الأمير» عن دار الأوطان بالجزائر العاصمة.

مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فإن الجاهلية مفهوم قرآني له أصول لغوية عرضت لمعناها المعاجم العربية، وأسهبت الدراسات القرآنية في دراسته دراسة سياقية معتمدة النص القرآني وما تواتر لفظه من المرويات، ونحن أمام إشكال علمي تاريخي مهم هو:

كيف تحول مفهوم الجاهلية من معنى أراد الإسلام إصلاح مظاهره إلى وسيلة تضليل وتكفير للمجتمعات، وتبرير لأعمال العنف والتخريب عند بعض الإسلاميين السياسيين؟

نقدم بين يدي القارئ هذا البحث لتحليل هذا الإشكال في محاولة لتأصيل مفهوم الجاهلية في الأصل الأول وهو القرآن مرورا ببعض المصادر التاريخية، مفككين هذا المفهوم مع إشارات إلى بعض المغالطات التي ركب مطيتها بعض الإسلاميين السياسيين؛ ولأن سيد قطب هو منظر نظرية الجاهلية الأول والأكثر أثرا فإننا خصصنا المبحث الثاني لمناقشة مفهوم الجاهلية لديه، وعرضنا فيه أهم النقود التي وجهت إليه، إضافة إلى أثر مفهومه السلبي في المجتمعات الإسلامية وفي الفكر السياسي الإسلامي.

هذا وقد اعتمدنا المنهج التحليلي الاستقرائي سواء تعلق الأمر بمفهوم الجاهلية في القرآن أو عند سيد قطب أو ما تعلق بآراء الباحثين المعاصرين.

مما سبق تعين أن هذا البحث يرد في مبحثين أساسين هما:

الفرق بين مفهوم الجاهلية الديني ومفهومه التاريخي.

مفهوم الجاهلية عند سيد قطب وأثره السياسي والاجتماعي.

المحتويات

- **مقدمة .**

- **الفرق بين مفهوم الجاهلية الديني ومفهومه التاريخي .**

  - الجاهلية قرآنيا
  - حكم الجاهلية
  - المفهوم التاريخي للجاهلية
  - الجاهلية عند ابن تيمية
  - الجاهلية عند محمد بن عبد الوهاب
  - الجاهلية عند الصوفية
  - الجاهلية عند توشيهيكو ايزوتسو

- **مفهوم الجاهلية عند سيد قطب وأثره السياسي والاجتماعي**

  - أثره على النخبة الإسلامية
  - أثره في ظهور الحركات التكفيرية
  - المفهوم وعلاقته بالجانب الاجتماعي والسياسي

- **الخاتمة .**

الفرق بين مفهوم الجاهلية الديني ومفهومه التاريخي:

نشرع بداءة ببيان مفهوم الجاهلية:

الجاهلية لغة: الجاهلية مصدر صناعي مشتق من اسم الفاعل: جاهل، وهو اسم مشتق من الفعل: جهل، فالجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة[1].

الجاهلية قرآنيا :

إذا أحصينا مواضع مادة الجهل في القرآن وجدناها أقساما[2]: وردت مادة (ج هـ ل) في القرآن أربعا وعشرين مرة، بصيغ واشتقاقات مختلفة: تجهلون (٤ مرات)، يجهلون (مرة واحدة)، الجاهل (مرة واحدة)، الجاهلون (ثلاث مرات)، الجاهلين (ست مرات)، جهولا (مرة واحدة)، بجهالة (أربع مرات)، الجاهلية (أربع مرات).

استعمل القرآن مصطلح الجاهلية للدلالة على الفترة الزمنية التي

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (١/ ٤٨٩)، دار الفكر، [د ط]، ١٩٧٩.

ينظر أيضا: لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ١٢٩)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) الجهل والجاهلية دراسة قرآنية، أطروحة ماجستير، بلال عبد الرحمن محمد سليم، ص ١٦ وما بعدها، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٥.

سبقت بعثة النبي محمد ﷺ، فوردت مع الظن والحكم والتبرج والحمية. ولفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم[1].

إن لفظ الجاهلية لم يرد مفردا في القرآن، إنما أضيف إلى الحكم والتبرج والحمية والظن، ونحن نؤمن بأن الفصل بين هذه المتضايفات هو من قبيل تحريف الكلم عن مواضعه، ولسنا نناقش في هذا المدخل آراء أصحاب نظرية الحاكمية القائلين بالجاهلية الحديثة فقط، ولكننا نوصي بدراسة المفاهيم القرآنية دراسة استقرائية سياقية صارمة، مع العناية بما جاء منها مركبا لا مفردا ومن هذا النوع لفظ الجاهلية؛ لذا نشرع في دراسة هذا المفهوم (حكم الجاهلية) في صيغته القرآنية المركبة؛ لأنه عمدة القائلين بنظرية الجاهلية الحديثة[2] أو المعاصرة:

حكم الجاهلية:

وردت هذه الصيغة في قول الحق: أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (٤/ ١٣٦)، الدار التونسية للنشر – تونس، [د ط].

(٢) يقول حسين رحال: لقد أسقط سيد قطب هذا المصطلح (الجاهلية) مضيفا كلمة حديثة على كل ما هو آخر، غير مسلم من الحضارات، في إطار خلفية فكرية إلغائية ترفض القبول بها لاعتبارات عقائدية أيديولوجية، فرؤية العالم هنا تتبع التصنيف الثنائي: نحن الحق والآخر الباطل.
ينظر: محمد مهدي شمس الدين، دراسة في رؤاه الإصلاحية، حسين رحال، ص ٩٧، [د ط].

من الله حكما لقوم يوقنون [المائدة:٥٠]، نلحظ في النص القرآني تعلق الحكم بمفهوم القسط وبمفهوم الهوىٰ، يقول الحق في السياق ذاته: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة:٤٩] ، ويقول في السياق ذاته أيضا: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]

إن سياق آية: حكم الجاهلية، يمنحنا قرائن لفظية قريبة جدا نتبين بها دلالة هذا المركب، فحكم الجاهلية: هو الحكم بالهوىٰ، وضده حكم الله وهو الحكم بالقسط، ولسائل أن يسأل: ألم يؤمر الله نبيه بأن يحكم بما أنزل الله؟ فلماذا خصصت هذا الحكم العام بالقسط؟ والجواب قول تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد:٢٥]. ونحن نميز بين الحكم بالتنزيل والحكم بالقسط لغرض دقيق وهو من باب سد الذرائع، فالتاريخ الإسلامي يشهد بأن فرقا ومذاهب شتىٰ -منها الخوارج- زعمت أنها تستدل وتحكم بما أنزل الله، ولقي خطابها قبولا عند عامة الناس كما هو الحال اليوم بين الجماعات التكفيرية وبين الشباب؛ لذا نقول: الفرق شديد بين أن تحكم بشيء من كتاب الله اجتزأته ووضعته في غير موضعه، وبين أن تحكم بما أنزل بالقسط، لذا عُرِّفت الحكمة بأنها: وضع الشيء في موضعه[1].

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ص ٣٨٢، مؤسسة الرسالة

الآية التي صدرنا بها الشرح احتج بها دعاة الحاكمية بدءا بأبي الأعلى المودودي ثم سيد قطب وأغفلوا القرائن التي ذكرناها، والتي تعطي للمركب الإضافي: حكم الجاهلية بعدا مقاصديا مستخلصا من نظام القرآن نفسه، ولتعزيز هذا البعد نورد هذه الشواهد التي تفرق بين حكم الله الكوني العام، وبين ما هو من شأن عباده، وفي هذه الشواهد يظل مقصد العدل حاضرا، يقول الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة:٩٥].

ويقول أيضا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء:٥٨]

المفهوم التاريخي:

الجاهلية عند ابن تيمية:

ترد الجاهلية بكثرة عند ابن تيمية الذي يقول: كذلك يدخل في مسمى الجاهلية، ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من

- بيروت، [د ط].

العرب اليوم، من صفات وأعمال وعادات الجاهلية[1] . ولكن موقفه من هذا اللفظ يظل مفهوما لمن فهم البراديغم (الأنموذج) الذي انتهجه ابن تيمية في أكثر أعماله، إذ إنه يفصل القول في مواضع ورودها ويراعي ما أضيفت إليه، ورأى أن ما أضيف إلى الجاهلية يقتضي الذم[2] فـ: كل ما كان من الجاهلية فهو مذموم[3] . ونجد عنده نوعين للجاهلية هما: الجاهلية العامة والجاهلية المقيدة، قال: كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام[4]. والفرق بين ابن تيمية وسيد قطب هو أن ابن تيمية لا يرى بالجاهلية المطلقة بعد بعثة النبي عليه السلام، يقول: فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة[5].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (١ / ٥١)، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٩٩٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مرجع سابق (١ / ٢٤٧).

(٣) المرجع نفسه، (١ / ٢٥٢)

(٤) المرجع نفسه، (١ / ٢٥٨).

(٥) المرجع نفسه، (١ / ٢٥٩). ممن قالوا بتأثر سيد قطب بابن تيمية محمد السني قال: ثم فجأة يتحول

الجاهلية عند محمد بن عبد الوهاب:

كتب محمد بن عبد الوهاب (مسائل الجاهلية) وتجاوزت المائة، قال في ديباجة كتابه: هذه أمور خالف فيها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، مما لا غنىٰ للمسلم عن معرفتها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء. فأهم ما فيها وأشدها خطراً، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، فإن انضاف إلىٰ ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية، تمت الخسارة(١). وليس غريبا أن يستدل جامع شروح ابن عبد الوهاب بسيد قطب وبمفهومه عن الجاهلية(٢).

سيد قطب إلى داعية إسلامي متأثرا بفكر ابن تيمية... فالذي يقرأ معالم في الطريق أو في ظلال القرآن يتجسد أمامه شخص متشدد متطرف، وتبدو خطورة كتاب معالم في الطريق من النزعة التكفيرية لكل معترض على منهج قطب في مفهوم الولاء هل هو للدين أم للوطن.

ينظر: الثورة وبريق الحرية، محمد السني، ص ٣٢٧، دار الأدهم للنشر والتوزيع، [د ط]، ٢٠١٧.

(١) مسائل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب، ص ٥، [د ط].

(٢) ينظر: مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، عبد المنعم إبراهيم، ص ٢٥٦٥، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٠٠.

الجاهلية عند الصوفية:

لا ترد الجاهلية عند أهل التصوف إلا فيما ندر من حديث أو شرح حكم شرعي؛ ذلك أن معجمهم ينأىٰ عن الصدام وتكثر فيه ألفاظ من قبيل الحب والعشق والحكمة والرحمة؛ وانظر تفسير ابن عجيبة لآية حكم الجاهلية، إذ قال: أفحكم الجاهلية يبغون أي: يطلبون منك حكم الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوىٰ[1] .

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (٢ /٤٨)، [د ط]، ١٤١٩.

الجاهلية عند توشيهيكو ايزوتسو[1]:

الجاهلية عند الباحث الياباني توشيهيكو ايزوتسو هي كل ما يناقض العبودية، والجاهلي هو رب نفسه، وهنا تظهر كلمات من مثل: الطغيان، والاستغناء، والاستكبار، وحمية الجاهلية، وبالجملة فالجاهلية في القرآن مصطلح ديني سلبي[2]، وبما أن الحلم هو نقيض الجهل فإن ايزوتسو يفترض أن الدين الجديد استبدل بالحليم مصطلح المسلم أو المؤمن، وايزوتسو يدرس الجذر (ج هـ ل) قبل الإسلام، ويرىٰ أنه نوع من السلوك النموذجي للرجل المتهور السريع الاهتياج الذي يميل إلىٰ فقدان السيطرة

---

(١) أحد كبار المستعربين اليابانيين، (١٩١٤/ ١٩٩٣)، بدأ اهتمامه بالدراسات الإسلامية منذ المرحلة الثانوية حيث كان يزور المركز التركي الإسلامي بانتظام وتعلم هنالك العربية والتركية، أخذ عن العالم والمجدد موسى جار الله بيكييف (١٨٧٣-١٩٤٩) كتاب سيبويه، وصحيح مسلم مع نصوص عربية قديمة، إضافة إلى الشعر الجاهلي، درس ايزوتسو الأدب الإنجليزي في جامعة كيو وتخرج منها، وسنة ١٩٤٢ بدأ العمل كخبير في اللغات الشرقية، في معهد كيو للدراسات الثقافية واللغوية، من أعماله: الله والإنسان في القرآن، دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم.

ينظر:

- إتمام الأعلام، نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، (١/ ٤٣٥)، ابتسام ثمامة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ نقلا عن الأول.

- الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، ص ٩، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣١٧.

على نفسه. وبعد كلام مطول عن الحلم يقول: الأفضل أن نتذكر أن مفهوم الجهل مفهوم واسع جدا يغطي مدى الحياة الإنسانية كله تقريبا ...فالواضح من القرآن أن الكثير من العرب الوثنيين قد شعروا أن الخضوع أمام سلطة الله المطلقة ذل لا يطاق...وواضح أن هذا الوجه الأخلاقي الخاص للجهل يؤدي دورا رئيسيا في رؤية القرآن الدينية للعالم[1].

الألفاظ في اللغة شأنها أن تتطور وقل أن يثبت لفظ على عناصره الدلالية الأولى، ولفظ الجاهلية ليس بدعا من الألفاظ، فالاستقراء التاريخي يبين بوضوح أن ثلة من العلماء زادوا فيه ما ليس منه، واعتدوا غير متقصدين على معناه القرآني الأصل؛ فمن نافلة القول أن نذكر أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن إذ قصد به إلى غاية واحد هي التزمين؛ أي الفصل بين مرحلتين زمنيتين تشتركان في خصال وتفترقان في أخريات. والحال أن مرحلة الجاهلية ومرحلة ما بعد الجاهلية ليستا على الضد في كل شيء، ذلك أن الذين قالوا بالتقابل بينها وقعوا في مغالطات عدة، أهمها التعميم، ثم وقعوا في عدة إلزامات أفضت إلى أحكام ضيقت ما اتسع، وبعدت عن مقاصد القرآن الكريم التي منها التيسير وإسقاط الإصر والأغلال، وامتدت عند محمد قطب إلى تصنيف الناس إلى طيبين (بمعنى: سذج) وخبيثين، بحسب موقفهم من لفظ الجاهلية، وطرف ثالث يؤمن بجاهلية القرون

(١) المرجع نفسه، ص ٣٢٦.

المتأخرة في صورة جوهر معين يمكن أن يتخذ صورا شتىٰ[1].

مثل هذه المغالطات لا تصدر عادة إلا من أولئك الذين لم يكن لهم نصيب من دراسة العلوم العقلية فضلا عن أصول الفقه الإسلامي، وقد شاع فيما تأخر الدعوة إلىٰ ما سمي بمذهب الدليل، ونبذ أصول المذاهب والحاصل أنهم إذ يدعون إلىٰ الدليل فهو عندهم الكتاب والسنة حصرا، وهنا نذكر جملة ملحوظات قبل أن نفصل القول في لفظ الجاهلية، ونحن في هذا نتحرىٰ التأصيل قبل الخوض في الفروع والجزئيات:

- اعتبار المذاهب الأربعة للعرف كأصل من أصول التشريع ومن ذلك قولهم: الثابت بالعرف كالثابت بالشرع أو المعروف عرفا كالمشروط شرعا.

- أخذ أصوليي الإسلام بالمصالح المرسلة لما بينها وبين الشريعة من تلازم وبها أخذ الجمهور.

ونشرع الآن في دراسة مفهوم الجاهلية عند سيد قطب:

---

(١) ينظر: محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ص٥، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٢.
وقد أغفل محمد قطب طرفا رابعا هو الباحث الحكيم الذي يحكم بالعدل ولا يصادر على المطلوب!
حري بنا أن نبين أن كتاب محمد قطب جعل الجاهلية تشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وعلاقات الجنسين، والفن وكل شيء!

مفهوم الجاهلية عند سيد قطب[1] وأثره السياسي والاجتماعي:

أشير في البداية إلىٰ أن سيد قطب من أكثر الكتاب الذين أثروا في الفكر السياسي الإسلامي والعربي في القرن العشرين، وأفكاره كان لها أثر مباشر في تغير فلسفة الدين في المجتمعات الإسلامية باستدعائه لمنطق الخوراج.

نقد سيد قطب من قبل علماء المؤسسة الدينية من أمثال الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي (ت ١٩٧٩) رئيس لجنة الفتوىٰ بالأزهر الذي كتب تقريرا سنة ١٩٦٥ يرد فيه علىٰ سيد قطب في كتابه "معالم في الطريق"، وخلص فيه إلىٰ أنه إنسان مسرف في التشاؤم واستباح باسم الدين أن يستفز

(١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ولد في قرية موشة إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر في التاسع من أكتوبر ١٩٠٦، ودرس المرحلة الابتدائية بها، وحفظ القرآن. سافر إلى القاهرة عام ١٩٢٠م، وكفله خاله أحمد حسين عثمان الذين كان مقربا من العقاد ومن مثقفي القاهرة، التحق بمدرسة المعلمين الأولية، ونال منها إجازة التعليم الأولي ثم التحق بكلية دار العلوم، عام ١٩٢٩م. ثم تخرج منها عام ١٩٣٣م. حاصلا على باكلوريوس الآداب، وعمل مدرسا بمدارس وزارة المعارف حوالي ست سنوات، عمل لدى وزارة المعارف في مهام إدارية، وأرسل إلى أمريكا لدراسة مناهجها، ولبث بها عامين وعاد سنة ١٩٥٠، انضم لحزب الوفد المصري، ثم لجماعة الإخوان المسلمين وكان رئيس تحرير جريدتها، كتب في مجلات عديدة في سن مبكرة، ومن أشهر مؤلفاته، النقد الأدبي، تفسير الظلال، معالم في الطريق. أعدمه نظام جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٦.

ينظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٤.

البسطاء[1]، والسيد أسامة الأزهري في كتابه: الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، وبعض علماء السلفية – لأغراض سياسية في الغالب –، ونقد من قبل الحداثيين أمثال حلمي النمنم في كتابه: سيد قطب وثورة يوليو، وفي كتابه: سيد قطب...سيرة وتحولات، ومحمد حافظ دياب (ت ٢٠١٥) في كتابه: سيد قطب الخطاب والأيديولوجيا، وباحثون أكاديميون لم يقيدوا أنفسهم بمدرسة معينة، فلا يخلو كتاب درس الإسلام السياسي من نقد لسيد قطب، فضلا عن عشرات المقالات في الجرائد والمدونات، وهذا ما سنتبينه.

يقسم حسن حنفي المراحل التي مر بها سيد قطب إلى أربع، أولها مرحلة الشاعر الرومنسي في العشرينات (١٩٢٥/ ١٩٤٥)، ثم مرحلة الناقد الأدبي في الأربعينات (١٩٤٥/ ١٩٥٠)، ثم المفكر الإسلامي في الخمسينات (١٩٥٠/ ١٩٥٤)، ثم المرحلة السياسية وفيها – حسبه – أسوأ ما كتب (معالم على الطريق)، الذي يكفر فيه المجتمع ويقسمه

(١) الأزهر بين الاتجاهين القومي والإسلامي في العهد الناصري، مقاربة الحضور الديني في المجال العام، أحمد عادل أبو سعدة، ص ٩١-٩٢، إصدارات أي – كتب، لندن، مايو ٢٠١٦.

ينظر تقريرا الشيخ السبكي عن كتاب معالم في الطريق لسيد قطب، وكتاب: جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب في كتاب: شخصيات لها العجب، صلاح عيسى، ص ١٣٠-١٣٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢، ٢٠١٠.

إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر، ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه[1].

ويشير إلى أن سيد قطب لم يبدأ عداءه للغرب إلا بعد رحلته إلى أمريكا سنة ١٩٥٠، وما يسمى بالصدمة الحضارية(٢) هذه الفكرة القائمة على تبرير الخطاب القطبي نقلها عدد كبير من الباحثين الذين فرقوا بين نتاج سيد قطب في البدايات والنهايات، ولكنها فكرة لا أساس لها من الصحة فنحن نقرأ رد حلمي النمنم أولا على أسطورة سيد قطب المضطهد، وبأنه انقلب من رجل متسامح إلى متشدد بعد السجن، حيث يرى أن تعذيبه في السجن لم يثبت وبأنه أتيحت له الفرصة ليقرأ ويكتب في السجن وبأن نتاجه في السجن أكبر منه خارجه، والحاصل أن تلكم الفكرة ظهرت في السبعينات والثمانينات كردة فعل من السادات لتشويه عصر جمال عبد الناصر، ويرفض النمنم ثانيا الفكرة الخيالية – حسبه – لردة الفعل من سفره إلى أمريكا وصدمته الحضارية من الانحلال الخلقي هنالك مستدلا بكتاب العدالة الاجتماعية، يقول: إدانتنا لسجنه لا يجب أن تجعلنا نعلق كل شيء وأفكاره على السجن وأثره، كل أفكار سيد قطب التكفيرية ظهرت

(١) مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة لسيد قطب، تقديم حسن حنفي، ص ٥، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ٢٠٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨.

قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومن أراد عليه أن يراجع (العدالة الاجتماعية) وأن يقرأ مقالاته التي كتبها سنة ١٩٥٠ وجمعت في كتاب: (الإسلام والرأسمالية)[١].

قبل أن نناقش فكرة الجاهلية أو المجتمع الجاهلي عند سيد قطب نلقي نظرة على أزمة سيد قطب النفسية من خلال ديوانه، وهذه بعض أبياته:

اغربي عني بعيدا يا حياتي قد كرهت العيش في جـــو قذر

اغربي محفوفة باللعنات ابعدي عن ساخط جهم ضجر[٢]

قد يقول قائل: إن الشعر ليس حكما على شخصية سيد قطب، ولكننا نستأنس به مع اختلاف الزمن والأسباب التي دعته إلى كتابة هذه الأبيات،

---

(١) توجد ملحوظة مهمة ذكرها حلمي النمنم – كتب عن سيد قطب كتابين هما: سيد قطب سيرة وتحولات، وسيد قطب وثورة يوليو – قال فيها: إنه كان دائم الإشارة في هوامش كل كتاب إلى عمل من أعماله الأخرى، حتى يبدو – أحيانا – وكأنه هو المرجع الوحيد لنفسه، حيث يعمد إلى تذكير قارئه بكتاب آخر له سبق أن أصدره وربما يفعل ما هو أكثر، حيث ينبئ القارئ إلى فكرة ونقطة سوف يتناولها في كتاب قادم له، أي يحيل القارئ على كتاب له لم يصدر بعد، بل يفكر في إصداره، هو في ذلك حالة خاصة جدا، سمها إعجابا بالذات، أو الدوران والسير في دائرة أعماله هو فقط.

ينظر: سيد قطب، سيرة تحولات، حلمي النمنم، نسخة الكترونية غير مرقمة.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لسيد قطب، مرجع سابق، ص ٢٨.

وبتحليل مبدئي يطل علينا سيد قطب بنفسية[1] الانتحاريين الذي يريدون الموت لا الحياة، ويصف حالة الملل التي يحياها والسخط الذي يملؤه تجاهها. ولسائل أيضا أن يسأل: أين إيمان سيد قطب؟ أو أين أثر حياته

---

(١) يقول ياسر حلمي الشاعر: فالمنظر سيد قطب كان بالتأكيد مشوش الفكر، صاحب شخصية سيكوباتية حادة عدوانية، وأيضا هو رجل ضعيف يميل حيث مالت الريح، تكسره المواقف الصعبة ولا تقويه، وهو ما نعكس على مرديه.

ينظر: التاريخ الأسود للجماعة بين يهودية حسن البنا وماسونية الإخوان، ياسر حلمي الشاعر، ص ٢٢٦، أي-كتب، لندن، ط١، ٢٠١٤.

ومن الإشارات التي اقترنت بشخصية سيد قطب ما قاله حلمي النمنم: نحن بإزاء كاتب كتب الشعر والنقد والرواية والسيرة الذاتية، وكلها لم تحقق له التميز والتفرد الذي كان يسعى إليه، ولا أرضت طموحه الأدبي والثقافي فكان لا بد أن يتجه إلى الكتابات الإسلامية، وتلك منطقة يمتلك أدواتها.

أشير إلى ما ذكره محمود عبد الحليم عن مقال سيد قطب في الأهرام سنة ١٩٣٨ - بعد أن بين ولاء سيد قطب للعقاد ضد الرافعي - يقول فيه:

وقد قرأت في ذلك الوقت في جريدة الأهرام مقالا لسيد قطب يدعو فيه دعوة صريحة إلى العرى التام وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم وكانت هذه البدعة قد انتشرت في بعض بلاد أوربا.

ينظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، (١/ ١٩١)، دار الدعوة، ط٥، ١٩٩٤.

ومن الأمانة أن نقول: إننا لم نقف على هذا المقال في مصدره أي جريدة الأهرام، بيد أنه راج في صفحات الشبكة، وأنكره مؤيدو سيد قطب ومعارضوه ومنهم حلمي النمنم.

ينظر: سيد قطب وثورة يوليو، حلمي النمنم، ص ٣٢-٣٤، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، [د ط]، ١٩٩٩.

الروحية في موقفه من الحياة؟!

يقول أيضا:

سأعيش عيش الزاهين وكان لي أمل حطمت قوامه فتحطما[1]

نتبين من هذا البيت أن سيد كان متعلقا بأمل ما، والظاهر أنها علاقة أو علاقات عاطفية لم يقدر له أن ينجح فيها، يقول في الظلال: وما أتفه الكلام الرخيص الذي ينعق به المتحذلقون باسم «الحب» وهم يعنون به نزوة العاطفة المتقلبة، ويبيحون باسمه - لا انفصال الزوجين - وتحطيم المؤسسة الزوجية - بل خيانة الزوجة لزوجها! أليست لا تحبه؟! وخيانة الزوج لزوجته! أليس أنه لا يحبها؟! وما يهجس في هذه النفوس التافهة الصغيرة معنى أكبر من نزوة العاطفة الصغيرة المتقلبة، ونزوة الميل الحيواني المسعور. ومن المؤكد أنه لا يخطر لهم أن في الحياة من المروءة والنبل والتجمل والاحتمال، ما هو أكبر وأعظم من هذا الذي يتشدقون به في تصور هابط هزيل، ومن المؤكد طبعا أنه لا يخطر لهم خاطر اللّه فهم بعيدون عنه في **جاهليتهم** المزوّقة![2]

هزائم كانت سببا في تلك الكلمات التي قرأناها في البيتين الأولين، وقد تكون أزمته العاطفية سببا في عدم زواجه، رغم أن جامع ديوانه عبد

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لسيد قطب، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/ ٦٠٦)، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢، ط٣٢، ٢٠٠٣.

الباقي محمد حسين اعتقد أن سيد قطب شخصية سوية التكوين، وأنه لم يتزوج حتى لا تشغله الزوجة أو الأولاد عن تلك المهمة التي وجد نفسه مسؤولا عنها[1].

فاقد الأمل تستوي عنده الحياة والموت، ولا بد أن يتخذ موقفا عدائيا من الآخر، هذا الآخر هو المجتمع الجاهلي حسبه، يقول سيد قطب:

إني شقي لو علمت دخائلي فدع المظاهر لا ترعك جوانبي[2]

في هذا البيت يصف سيد قطب حياته بلفظ الشقاء، فهو الذي يقول: دعني أعيش معذبا متألما بمواهبي[3]. لعل هذا هو موقفه في أول أمره، أن يكتم ألمه وعذابه، ولكنه خرج في عشريته الأخيرة بمباحث ظاهرها فكري والحافز إليها نفسي صرف، أي إنه ترجم شقاءه الداخلي وفق رؤية إسلامية تبناها وأوصى بها أجيالا من الشباب المتحمس الذي أبى إلا أن يقاسمه القدر ذاته، الشقاء وعداء الآخر، والحاصل أن سيد قطب ضيع نفسه، وضيع غيره معه، يقول في قصيدته النفس الضائعة:

---

(١) ديوان سيد قطب، جمع وتوثيق وتقديم: عبد الباقي محمد حسين، ص ١٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٩٨٩.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لسيد قطب، مرجع سابق، ص ٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣.

أنقب عن نفسي التي قد فقدتها بنفسي التي أحيا بها غير شاعر[1]

ارتأينا أن نطرق باب الشعر عند سيد قطب ودلالته كنموذج نستشرف به مستقبل هذا المفكر، أو نبرر به نتاجه الفكري؛ لأن أن أكثر الذين نقدوا سيد قطب أو نصروه لم يلتفتوا إلىٰ مثل هذا، وهو القائل في قصيدته (الغد المجهول) المنشورة سنة ١٩٣٤:

ماذا سيولد يوم تولد يا غدي؟ إني أحس بهول هذا المولد!

رباه إني قد سئمت ترددي فالآن فلتقدم بهولك يا غدي[2]

مما هو معلوم بالضرورة أن نتاج سيد قطب في سنواته الأخيرة هو خلاصة فكره الذي مات عليه، ومن شهادات من عاصروه نستيقن أن ما كتبه في شبابه هو محض تاريخ بالنسبة إليه، ونتاجه الأخير يظهر في طبعته الأخيرة لتفسير الظلال وبالأخص كتابه: معالم علىٰ الطريق؛ لذا ارتأينا أن يكونا عمدة هذا البحث.

يستدل سيد قطب بالآية الكريمة: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠] فيقول: إن معنىٰ الجاهلية يتحدد بهذا النص؛ فالجاهلية – كما يصفها الله ويحددها قرآنه – هي حكم البشر للبشر، لأنها

(١) المرجع نفسه، ص ٥١.

(٢) ديوان سيد قطب، مرجع سابق، ص ٦٢.

هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله...إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان: ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام[1].

قول سيد قطب: الجاهلية هي حكم البشر للبشر؛ لأنها هي عبودية البشر للبشر اهـ، يبين عن اضطراب صارخ، وخلط لا مبرر له، فقد جعل الحكم مرادفا للعبودية! وهذا لا يقول به عاقل، وقد بينا من قبل أن الحكم بما أنزل الله لا يراد به النص؛ لأن النص في نفسه إنما نزل لإقامة القسط، وإن حكم البشر بعضهم بعضا فظلموا فلا مدخل للشرك ههنا من أي وجه، ونجد بذور هذا الخلط عند ابن تيمية في تقسيمه للتوحيد تقسيما لم يسبق إليه.

يقول السيد أسامة الأزهري -مبينا الخلط الشديد الذي وقع لسيد قطب في نظرية الجاهلية -[2]: ولقد أولع سيد قطب بنظرية الجاهلية، ولهج بها وكررها في كتابه: (ظلال القرآن) على نحو بالغ، حتى لقد وردت كلمة الجاهلية في كتاب الظلال ألفا وسبعمائة وأربعين مرة (١٧٤٠)، ولقد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ٩٠٥)، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢، ط٣٢، ٢٠٠٣.

(٢) ننبه إلى أننا نطلق عليها لفظ النظرية تجوزا وإلا فإن تصور سيد قطب للجاهلية وللمصطلح القرآني ليس من النظرية في شيء.

أحصيت لها في صفحة واحدة أنه كررها تسع مرات، في حين وردت كلمة نور في كتاب الظلال أربعمائة وثلاثين مرة تقريبا (٤٣٠)، وهذا مبشر مبدأي ربما لا يدل على شيء، لكن لا يمكن تجاهل دلالته على شدة الحضور والإلحاح الذي كانت تمثله فكرة الجاهلية في عقل الرجل وأطروحته وتصوره[١]. ثم فصل خطأ سيد قطب في جملة مسائل[٢] وهذه زبدتها باختصار:

الخلط بين الاعتقاديات والفروع.

- الزيادة في أصول الدين بابتكار توحيد الحاكمية وضده شرك الحاكمية، والعبارة التي تجلي رأيه هي قوله: إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله، فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين[٣]
- كون الجاهلية عنده منهجا ممتدا عبر الزمن لا فترة تاريخية ماضية.
- توقف الدين عن الوجود وانقطاعه منذ زمن.
- الصدام مع أهل الأرض كلهم.

---

(١) الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، أسامة السيد محمود الأزهري، ص ٥١، دار الفقيه، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، بإيعاز من المرجع السابق، ص ٥٦.

يخلص السيد أسامة الأزهري إلى ما أثبتناه في التعليق على مصطلح: نظرية الجاهلية، من أنها ليست نظرية بل افتراضات، يقول: والخلاصة أن نظرية الجاهلية عنده قائمة على عدد من الافتراضات المغلوطة المغشوشة[1]. بعد بسط النقاط السالفة يأتي السيد أسامة الأزهري إلى قضية جوهرية في الفكر الإرهابي للمتطرفين الإسلاميين وهو التسامح مع غير المسلمين وعدمه مع المسلمين الذين حسبهم مسلمون من حيث الظاهر فقط ما داموا لا يقيمون الحاكمية التي دعوا إليها.

قد يلحظ القارئ تعلق مفهوم الجاهلية عند سيد قطب ومن سبقه وتلاه بمفهوم الحاكمية[2]، فإذا حلت الجاهلية عندهم بأرض غابت حاكمية الله لعلاقة سببية، والحاكمية عنده هي رؤية الإسلام الشاملة للوجود.

إن مفهوم الجاهلية عند سيد قطب والانتشار الكبير لكتابيه: في ظلال القرآن، ومعالم في الطريق، كان له أثر بالغ في المجتمعات الإسلامية وفي العالم بأسره، ونحن نفصل في هذا الأثر:

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) لدراسة مفهوم الحاكمية في تفسير سيد قطب ينظر: الحاكمية في ظلال القرآن الكريم، عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، رسالة ماجستير، ٢٠٠٥، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

أثره على النخبة الإسلامية:

نريد بالنخبة أولئك الباحثين والكتاب الذي شغلوا بقضية تخلف المسلمين، وأسهموا في الدراسات الإسلامية وفي تحليل أوضاع المجتمعات الإسلامية، ونلحظ أثر جاهلية سيد قطب في لفت أنظار العلماء إلى السياسة الشرعية، محاولين تحقيق ما سمي من بعد بالإسلام السياسي، ولم يتأثر بهذا المفهوم الإخوان المسلمون فقط، بل تلقفه كتاب تعددت مشاربهم، وقد قصدنا إلى إحصاء مصطلح الجاهلية في مؤلفات الإسلاميين في العصر الحديث فوجدناها من الكثرة بمكان.

وكتب شقيق سيد قطب محمد: (جاهلية القرن العشرين)، ووردت الجاهلية الحديثة عند محمد الغزالي في مقدمة كتابه: ظلام من الغرب، وفي كتاب: ليس من الإسلام، وفي كتاب: تأملات في الدين والحياة، ونجدها عند محمد الصابوني في: روائع البيان تفسير آيات الأحكام[1]،

(١) يقول: وقد كانت المرأة في الجاهلية كما هي اليوم - في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، بادية النحر، حاسرة الذراعين.

ينظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد الصابوني، (٢/ ١٤٧)، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٩٨٠.

ونجدها أيضا في خطب القرضاوي[1]، الذي رأىٰ من بعد أن سيد قطب تكفيري فقال: إن أفكار سيد قطب ليست من أفكار الإخوان المسلمين، كما أنها خرجت عن منهج أهل السنة والجماعة[2]، وقال أيضا: لكن سيد قطب لم ينقل عن فكر البنا مثلما نقل عن فكر المودودي الذي أخذ عنه فكرة الحاكمية والجاهلية، ولكنه خرج بنتائج تختلف عن المودودي تماما في تكفير المجتمع وجاهليته[3] ، وغير هؤلاء كثر.

أثره في ظهور الحركات التكفيرية:

يعد سيد قطب عند بعض الباحثين أبا التنظيمات الجهادية في العالم، فقد كان أثره في الشباب المستضعف إقليميا ودوليا كبيرا: أفكار سيد قطب حول جهل المجتمع ألهمت كثيرا من الشباب الإخواني الذي آمن بها وباستخدام وسائل العنف لتحقيق أهداف الجماعة، وهو ما مهد

---

(١) قال: وتملك أمتنا قوّة الرسالة التي تعتقد أنها طوق النجاة للبشرية في هذا العصر، البشرية التي غرقت في ظلمات الجاهلية الحديثة، إذ غرقت في المادية المجحفة، والإباحية المسرفة، والإمبريالية المتعجرفة، والمظالم الواقعة على الناس من الناس.

ينظر: خطب الشيخ القرضاوي، خالد خليفة السعيد، (٩/ ١٨٠)، مكتبة وهيبة، ط٢، ١٩٩٧.

(٢) خطاب العنف والدم في الفقه الإسلامي، حسام الحداد، ص ١٠٩، دار ابن رشد، [د ط].

(٣) الجهاد ضد الجهاد، أحمد المسلماني، ص ١٠، دار ليلى، [د ط]، ٢٠١٥.

لتأسيس الحركات الجهادية العنيفة التي انشقت عن الجماعة فيما بعد[١] يقول حسام حداد: يعتبر سيد قطب الأب الروحي لجميع قادة التنظيمات الإرهابية والجهادية في العالم، فقد قال زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في صحيفة الشرق الأوسط في ديسمبر ٢٠٠١: إن سيد قطب هو الذي وضع دستور الجهاديين في كتابه الديناميت: معالم في الطريق، وإن سيد هو مصدر الإحياء الأصولي، وإن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وإن فكره كان شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج[٢].

ويستشهد حسام حداد وخالد عكاشة بكلام عبد الله عزام، أحد قادة الجهاديين ضد السوفييت في كتابه: عشرون عاما على استشهاد سيد قطب، يقول: والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم، يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابات سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم[٣].

وليست تخفى العلاقة الواضحة بين أفكار سيد قطب وجماعة التكفير

(١) سقوط دولة الإخوان، جهاد عودة، ص ٢٤، كنوز للنشر والتوزيع، [د ط].

(٢) خطاب العنف والدم في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) أمراء الدم: صناعة الإرهاب من المودودي وحتى البغدادي، خالد عكاشة، ص ١٧٠، سما للنشر والتوزيع، [د ط].

والهجرة، يقول إبراهيم أعراب: هذه المفاهيم القطبية ستهتم بها التيارات والحركات الأصولية التي جاءت بعد حركة الإخوان المسلمين في مصر[١] وفي أنحاء العالم العربي، كما هو الشأن مثلا مع جماعة التكفير والهجرة، الذين اعتنقوا فكرتي الحاكمية والجاهلية اللتين قال بهما سيد قطب[٢]

المفهوم وعلاقته بالجانب الاجتماعي والسياسي:

يعرف سيد قطب المجتمع الجاهلي بأنه: كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي، وفي الشعائر التعبدية، وفي الشرائع القانونية وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا![٣]

ثم يفصل فيدخل فيه: المجتمعات الشيوعية والمجتمعات الوثنية، والمجتمعات اليهودية والنصرانية: وأخيرا يدخل في إطار المجتمع

---

(١) الحركة الإسلامية الراديكالية في مصر: كانت أهدافها محددة في قضايا محلية أو داخلية، ذروتها تغيير نظام الحكم القائم بالقوة، باعتباره في نظرها حكما كافرا أو ظالما أو فاسقا على أقل تقدير؛ لأنه لا يطبق الشريعة الإسلامية بالصيغة التي ترى هذه الجماعات أنها تعبر عن صحيح الإسلام.
ينظر: عولمة الحركة الإسلامية الراديكالية، جهاد عودة، ص ٣٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، [د ط].

(٢) الإسلام السياسي والحداثة، إبراهيم أعراب، ص ٥٦، [د ط].

(٣) معالم في الطريق، سيد قطب، ص ٨٨-٨٩، دار الشروق، ١٩٦٧، ط٦.

الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة[1] ومؤدىٰ كلامه وعلته أن المجتمعات الإسلامية جاهلية؛ لأنها تؤمن بحاكمية غير الله، فالجاهلية هي نتيجة إيمانه بمفهوم خاص للحاكمية.

نحن نعلم يقينا أن سيد قطب يعي مقولة المصلحة، فيقول: ولعله يثار هنا سؤال: أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟ ومرة أخرىٰ نرجع إلىٰ السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عليه: أأنتم أعلم أم الله؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون[2].

إنه في استدلاله بآيات القرآن الكريم علىٰ مذهبه يقع عليه وصف العابث لا الساذج، ويصح فيه وصف الحق بأنه من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ذلك أنه لا يستدل بالقرآن علىٰ مذهبه، ولكنه يستدل بأفكاره علىٰ القرآن، وليس يصح لمن بيت غرضا أن يستشير القرآن الكريم، والخلل الذي نقف عليه في أكثر استدلالاته هو أن سيد قطب لا يميز بين كليات القرآن، وبين أفراد الآيات التي نزلت في سياق، وقيدت بسبب نزول أو بمقام معروف عند متقدمي المفسرين ومتأخريهم. وقد يقع الإجماع بين منتقدي

(١) المرجع نفسه، ص ٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٦.

سيد قطب على أنه يقرأ القرآن بمنطق الشاعر الرومنسي المعذب[1]، ولكن الفرق بينه وبين الفقهاء أنهم قصروا اجتهادهم على آيات الأحكام في حين أنه عمم هذا المنطق على آية رآها تصلح دليلا على غرضه، وأهم ما ينتقد به سيد قطب هو خلو منطقه من النظر في مقاصد القرآن والإسلام عامة: فنظرية المقاصد ينتجها النظر العقلي المنطقي القويم، الذي يرى أن شريعة الله لا يمكن أن تكون إلا شريعة حكمة ورحمة، وشريعة عدل وإنصاف، وشريعة تدبير موزون وتقدير مضبوط، لأن هذه سنة الله المطردة في كل مخلوقاته، ولأن هذا مقتضى كمالاته سبحانه[2].

تقوم نظرية المقاصد على الاستقراء لجزئيات الشريعة بله القرآن، هذا ما لم يكلف سيد قطب نفسه معاناته، فالفكر المتطرف عادة يلجأ إلى الاجتزاء؛ لأن الاستقراء عمل فكري مضن، ولأنه لا يؤيد غرض الباحث.

---

(١) نبه خالد عكاشة إلى فكر المضطهدين الذي بنى عليه سيد قطب كتاب المعالم، ثم إلى عناوين الفصول الثلاثة عشر الأدبية مثل: (هذا هو الطريق)، (نقلة بعيدة)، والعناوين الإيمانية مثل: (استعلاء الإيمان). وأشار إلى سيطرة فكرة الحاكمية على سيد قطب قائلا: وكأن سيد قطب تحول إلى أبي الأعلى المودودي آخر.

ينظر: أمراء الدم: صناعة الإرهاب من المودودي وحتى البغدادي، مرجع سابق، ص ١٧١.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص ٣٠، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المغرب، ط١، ١٩٩٠.

يظهر الخلل في الفكر السياسي لسيد قطب واضحا، وهو يشترك في هذا مع أكثر المدارس السلفية[1]، والغالب على الإسلامويين أنهم يعمدون إلى إعادة قراءة سياسية واجتماعية للقرآن[2] ولكن هل لنا أن نعتذر له؟ فسيد قطب أراد أن يواجه الغرب بطريق واحد هو الإسلام، فالديمقراطيات التي نشأت عند المسلمين حسبه هي دكتاتورية، ويختزل الغرب في العقل المتآمر على المسلمين باسم العالم الحر[3]، فالكتلة الإسلامية حسبه أفضل

(١) يقول الفييه روا: لقد نشأت الإسلاموية (**Islamism**) في تواصل مع السلفية وفي قطيعة معها في آن معا، فالإسلاميون يتبنون بالإجمال الفقه السلفي، إنهم يدعون إلى العودة إلى القرآن والشريعة والسنة، ويرفضون الإضافات والقياس (التفسير، الفلسفة وكذلك المذاهب الأربعة الكبرى)...ثلاث نقاط تميز الإسلاميون بوضوح عن أشكال وصيغ السلفية الأخرى، لا سيما سلفية العلماء، وهي: الثورة السياسية، الشريعة، وقضية المرأة.

ينظر: تجربة الإسلام السياسي، اولفييه روا، ترجمة: نصير مروة، ص ٤١، دار الساقي، لبنان، ط٢، ١٩٩٦.

لكن ألم يكن سيد قطب يؤمن بالأصول التي أرساها العلماء المتقدمون؟ الجواب أن سيد قطب كان على دراية بهذا كما يظهر من كتابه: العدالة الاجتماعية في الإسلام من القول بالأخذ بالمصالح المرسلة وسد الذرائع قصد تحقيق مصالح العامة في كل زمان ومكان، بشرط ألا تخالف أصول الإسلام ولكن الرهان بين سيد قطب وبين مناوئيه هو في فهم وتفسير الأصول، أليس يقول في خاتمة كتابه الآنف الذكر عن حركات البعث الإسلامي أن عليها: أن تستيقن أن وجود الإسلام اليوم قد توقف، وألا تفزع لهذا التقرير الخطير، ولا يتعاظمها الأمر.

ينظر: العدالة الإسلامية في الإسلام، سيد قطب، ص ٢١٦، دار الشروق، [د ط]، ١٩٩٥.

(٢) تجربة الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٣) دراسات إسلامية سيد قطب، (١٥٩/ ١٦٣)، دار الشروق، القاهرة، ط١١، ٢٠٠٦ بتصرف.

من القومية العربية، وهي كما يقول: سندنا الحقيقي الوحيد[1]. يمكن أن نقارب الآراء القطبية في السياسة من زاوية أخرىٰ، فطارق البشري مثلا يرىٰ أن سيد قطب مفكر كبير، ويقول: ولكن ما يميز الفكر المنسوب إليه – الفكر ذا الأثر الخاص في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث – هو ما ورد في الصياغة الأخيرة لتفسيره (في ظلال القرآن)، وفي كتابه الذي شعر بخطره الكبير كل من خصومه وأنصاره: معالم علىٰ الطريق[2]. ويحلل بعد ذلك رأي سيد قطب قائلا: إن سيد قطب بدأ بمقولة صحيحة لا ينكرها أي مسلم، وهي أن الحكم لله وحده، ولكنه استخلص من ذلك أن كل تشريع وأي قانون تضعه إنما يتضمن تعديا علىٰ سلطان الله، وأن الخضوع لأي قانون أو تشريع من ذلك إنما يتضمن معنىٰ الشرك بالله سبحانه، وهو مسلك الجاهلية... يمكن القول بأن هذا الفكر فيه غلو، ولكننا لا نحاكم فكرا وليس لنا أن نصفه بالتطرف أو الاعتدال ونسكت؛ لأن التطرف والاعتدال دائما منسوبان لوضع معين أو لظرف خاص[3]. ليخلص إلىٰ مقارنة بين فكر سيد قطب وحسن البنا فيقرر أن فكر البنا:

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٤.

(٢) الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، طارق البشري، ص ٣١، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٢.

هو فكر توثيق العرىٰ، وفكر سيد قطب فكر مجانبة ومفاصلة، وفكر امتناع عن الآخرين ...، والفرق بينهما هو الفرق بين السلم والحرب...، نحن لا نقول إن السلام أفضل ولا إن الحرب أوجب، هكذا علىٰ نحو مطلق، إنما الأفضلية والأولوية بينهما دائما منسوبة إلىٰ ظروف وأوضاع.[1]

يمكن أن نختم هذا البحث بموقف أبي الحسن الندوي الذي تأثر في بداياته بمؤلفات المودودي وسيد قطب ولكنه أدرك خطورة الفكر القائم علىٰ التفسير السياسي للإسلام فقال: إن الذين يستقون معلوماتهم الدينية من نبع هذا التفسير (السياسي) للإسلام وحده وتقتصر دراستهم للإسلام علىٰ هذه الكتابات وحدها، ستعود علاقتهم مع الله ضيقة محدودة جافة، جامدة رسمية فارغة من الكيفيات الداخلية التي مطلوب من المسلم أن يتكيف بها ولا سيما إذا جاء الضغط مرارا وتكرارا علىٰ أن الهدف الجذري من بعثة الأنبياء وأن غاية تعاليمهم ومنتهىٰ أعمالهم، هو إحداث التغيير في هذه الحياة الدنيا المحدودة والقيام بالانقلاب الصالح[2].

(١) المرجع نفسه، ص ٣٣.

(٢) التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب، أبو الحسن الندوي، ص ١٠١، دار آفاق الغد، [د ط].

الخاتمة:

بعد أن أنهينا هذا البحث الموجز عن مفهوم الجاهلية نخلص إلى جملة من النتائج:

- مفهوم الجاهلية في القرآن لا يعدو أن يكون من باب الدلالة على التزمين والتفريق بين ما قبل الإسلام وما بعده، وإن كان مرتبطا بالذم في أكثر آيات الكتاب.
- نجد بذور نظرية الجاهلية عند ابن تيمية وابن عبد الوهاب أكثر من غيرهما، ثم عند أبي الأعلى المودودي.
- خلط سيد قطب بين مصطلح الجاهلية وبين مصطلح: حكم الجاهلية، والبون بينهما كبير.
- أخطاء سيد قطب في السياسة الشرعية وفي الدراسات الإسلامية عامة، ترجع إلى أسباب نفسية أكثر منها علمية.
- سيد قطب من أكبر المنظرين للتكفير، وعلى مؤلفاته اعتمدت أكثر الحركات التكفيرية.
- تأثر أكثر الإسلاميين – ومنهم الوسطيون – بكتابات سيد قطب، ومنهم من رجع عنها بعد أن تبين له خطلها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- إتمام الأعلام، نزار أباظة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، دار الدعوة، ط٥، ١٩٩٤.
- الأزهر بين الاتجاهين القومي والإسلامي في العهد الناصري، مقاربة الحضور الديني في المجال العام، أحمد عادل أبو سعدة، إصدارات أي – كتب، لندن، مايو ٢٠١٦.
- الإسلام السياسي والحداثة، إبراهيم أعراب، [د ط].
- الأعمال الشعرية الكاملة لسيد قطب، تقديم حسن حنفي، مركز الناقد الثقافي، دمشق، [د ط]، ٢٠٠٨.
- ديوان سيد قطب، جمع وتوثيق وتقديم: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٩٨٩.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم

الكتب، بيروت، ط٧، ١٩٩٩.

- التاريخ الأسود للجماعة بين يهودية حسن البنا وماسونية الإخوان، ياسر حلمي الشاعر، أي-كتب، لندن، ط١، ٢٠١٤.
- أمراء الدم: صناعة الإرهاب من المودودي وحتى البغدادي، خالد عكاشة، سما للنشر والتوزيع، [د ط].
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، [د ط]، ١٤١٩.
- تجربة الإسلام السياسي، اولفييه روا، ترجمة: نصير مروة، دار الساقي، لبنان، ط٢، ١٩٩٦.
- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، [د ط].
- التفسير السياسي للإسلام في مرآن كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب، أبو الحسن الندوي، دار آفاق الغد، [د ط].
- الثورة وبريق الحرية، محمد السني، دار الأدهم للنشر والتوزيع، [د ط]، ٢٠١٧.
- الجماعة وتحولاتها التجربة السياسية العربية - الإسلامية في فكر رضوان السيد، شمس الدين الكيلاني، الشبكة العربية للأبحاث

والنشر، ط١، ٢٠٠٩.

- الجهاد ضد الجهاد، أحمد المسلماني، دار ليلى، [د ط]، ٢٠١٥.
- الجهل والجاهلية دراسة قرآنية، أطروحة ماجستير، بلال عبد الرحمن محمد سليم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٥.
- الحاكمية في ظلال القرآن الكريم، عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، رسالة ماجستير، ٢٠٠٥، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- خطاب العنف والدم في الفقه الإسلامي، حسام الحداد، دار ابن رشد، [د ط].
- خطب الشيخ القرضاوي، خالد خليفة السعيد، مكتبة وهيبة، ط٢، ١٩٩٧.
- دراسات إسلامية سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١١، ٢٠٠٦ بتصرف.
- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٩٨٠.
- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، طبعة السعادة، مصر، ط٢.
- سقوط دولة الإخوان، جهاد عودة، كنوز للنشر والتوزيع، [د ط].

- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٤.
- سيد قطب وثورة يوليو، حلمي النمنم، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، [د ط]، ١٩٩٩.
- سيد قطب، سيرة نحولات، حلمي النمنم، نسخة الكترونية غير مرقمة.
- شخصيات لها العجب، صلاح عيسى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢، ٢٠١٠.
- العدالة الإسلامية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، [د ط]، ١٩٩٥.
- عولمة الحركة الإسلامية الراديكالية، جهاد عودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، [د ط].
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢، ط٣٢، ٢٠٠٣.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، [د ط].
- لحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، أسامة السيد محمود الأزهري، دار الفقيه، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٢،

٢٠١٠.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٢.
- محمد مهدي شمس الدين، دراسة في رؤاه الإصلاحية، حسين رحال، [د ط].

إصدارات أخرى من مبادرة سند (مطويات)

١. الوطن .
٢. المسلم و الإسلامي .
٣. التترس .
٤. انا متعصب .
٥. رفع الالتباس (أمرت أن أقاتل الناس) .
٦. وقولوا للناس حسنا .
٧. الولاء و البراء .
٨. وصايا النبي في الحرب .
٩. شرعنة الفحش .
١٠. يا كافر.
١١ . الاستشهاد .
١٢. التعامل مع المخالف .
١٣ . الاستعلاء .

إصدارات أخرى من مبادرة سند (أبحاث)

١٤ . حتمية الصدام .
١٥. جذور التسامح .
١٦ . التمكين .

ملخص البحث (مفهوم الجاهلية)

يعد بحث «مفهوم الجاهلية» محاولة لتأصيل مصطلح قرآني أحيط بلبسٍ شديد، ارتأينا أن نفكك دلالته تاريخيا، مع إشارات إلى بعض المغالطات التي ركب مطيتها بعض الإسلاميين السياسيين؛ وخصصنا أكبر قدرٍ منه لبحث فرضية الجاهلية عند سيد قطب، وعرضنا فيه أهم النقود التي وجهت إليه، وأثر مفهومه السَّلبي في المجتمعات الإسلامية وفي الفكر السياسي الإسلامي، معتمدين منهجا وصفيا تحليليا، بني على استقراءٍ لمصطلح الجاهلية في مظانه الأولى وفي كتب المتأخرين.

www.sanad.network
facebook.com/sanadnetwork
twitter: @sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork
instagram.com/sanadnetwork

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH PUBLICATION & DISTRIBUTION
مبادرة سند هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات